سمـو الأميـرة دانـا فـراس
نائب رئيس إيكوموس الدولي ورئيس إيكوموس الأردن ورئيس الجمعية الوطنية للمحافظة على البترا وسفير اليونسكو للنوايا الحسنة للتراث الثقافي

التراث الحي والاستجابة للطوارئ
دعوة لتعزيز الصمود في الأردن والمنطقة

في الثامنِ عشرَ من نيسان من كلِّ عامٍ، يُتيحُ لنا اليومُ العالميُّ للمعالمِ والمواقعِ فرصةً للتأملِ بقيمةِ التراثِ الثقافي ومسؤوليتنا المشتركة في حمايتِهِ وصونِهِ. ويكتسب موضوع هذا العام (التراث الحي والاستجابة للطوارئ في سياقات النزاعات والكوارث) أهميةً خاصةً في الأردن والمنطقة، حيث لا تقتصر هذه الأهمية على كون التراث ماضيًا عريقًا فحسب، بل يشكلُ جزءًا حيًّا من الهويةِ المعاصرة والممارسات اليومية. وعندما نتكلم عن التراث الحي فنحنُ نشيرُ إلى تلك الممارساتِ والمعرفةِ والتعبيراتِ الثقافيةِ التي تحافظ عليها المجتمعات وتنقلها عبر الأجيال. وهنا في الأردن يشمل ذلك الحرف التقليدية والروايات الشفوية والعادات والتقاليد والعلاقات المستمرة بين المجتمعات والمواقع. فهذه ليست مجرد مواقع أثرية جامدة بل مشاهد ثقافية حيّة تتشكلُ عبر التفاعل الإنساني المتواصل.

يواجه التراث الحي تحدياتٍ متزايدة. فالنزاعات المستمرة وتغيّر المناخ والكوارث الطبيعية والتوسع العمراني السريع جميعها تُشكل تهديدات جديّة. وقد أظهرت الأزمات في المنطقة هشاشة التراث وسرعة تعرضه للفقدان والدمار بشقيّه المادي وغير المادي. كما يكون التراث مستهدفًا خلال الأزمات لارتباطِهِ بالهوية وعلاقة الإنسانِ بالأرض واستمرارية الشعوب.

ومن هُنا يؤكد موضوع عام ٢٠٢٦ على أن الاستجابةِ إلى الطوارئ لا تقتصرُ على التدخلات المادية لحماية المواقع، بل ينبغي أن تتبنّى ممارساتٍ تتمحورُ حول الإنسان من خلال دعم المجتمعاتِ المحلية وصون الممارسات التقليدية ووضع التراث في سُلَّمِ الأولوياتِ التنموية لضمان استمرارية التراث الحي حتى في أوقات الأزمات.

ينسجم هذا التوجه مع الأولوياتِ الوطنيةِ الأردنية. فخبرة المملكة الطويلة في مجال صون التراث، إلى جانب دورها الإقليمي في استضافة المجتمعات المتأثرة بالأزمات، ودورها الدولي المتمثّل بالالتزام بالمواثيق الدولية للحفاظ على التراث وإطلاق المبادرات الإنسانية، تضعها في موقعٍ متميّز لدمج التراث ضمن خطط الاستعداد والاستجابةِ للطوارئ والتنمية المستدامة. فحماية المواقع الأثرية يرتبط بمدى نجاح العملية التنموية، وتمكين المجتمعات المحلية لا سيّما في المناطق الأكثر عرضةً للضغوطات البيئية والمجتمعية.

وتُعد الإيكوموس أبرز الجهات الفاعلة في هذا السياق على المستوى الدولي. فمنذ تأسيسه عام ١٩٦٥ يعمل المجلس العالمي كشبكة من الخبراء المختصين في صون وحماية التراث، ويضطلع بدورٍ استشاري لدى اليونسكو فيما يتعلق بمواقع التراث العالمي. ومن خلال لجانهِ العلمية وشبكاته الوطنية يساهم في تطوير المعايير المهنية وتبادل الخبرات وتعزيز أفضل الممارسات مع تركيزٍ متزايدٍ على ربط التراث بإدارة مخاطر الكوارث وتعزيز القدرة على الصمود.

وعلى الصعيد الوطني يقوم إيكوموس الأردن بدورٍ مهمٍ في ترسيخ هذه المبادئ، إذ يجمع نخبة من الخبراء والمختصين المحليين ويسهم في البحث العلمي والتوعية وبناء القدرات ودعم الشباب وتشجيعهم على المشاركة، فضلًا عن دعم مواءمة المعايير الدولية مع السياق الوطني لقطاع التراث في الأردن، ويفخر إيكوموس الأردن بشراكته مع دائرة الآثار العامة، وبأهدافنا المشتركة لصونِ تراث الأردن.

يشكل هذا التوجه فرصة ومسؤولية في آنٍ واحد فالربط بين صون التراث والاستجابة للطوارئ يمكّن الأردن ككل من أداء دورٍ ريادي في حمايةِ المعالم والمواقع وربطها بالتراث الحي الذي يمنحها معنى واستمرارية.

ICOMOS
international council on monuments and sites
JORDAN